رائد القصة الحديثة في العراق :

محمود أحمد السيّد

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(٢) (*)

توقفت « الصحيفة » وتوقفت « المعرض » ولكن محمود احمد لم يتوقف فكان يوالي النشر في الجرائد اليومية ويحتل منها مكانا بارزا، وانه حقق املا كبيرا بصدور مجلة « الحديث في تشرين الثاني ١٩٢٧ وقد حرر اكثر صفحاتها على اختلاف موضوعاتها ، ولا غرو فقد كان ركنا مهما ـ ان لم يكن الركن الاهم في تأسيسها (١) ، « وها نحن اخرجناها مجلة غايتها التجديد والتثقيف ونشر العلم وتشجيع الحركة الفكرية في البلاد ... » .

ولم يكن له بد ـ والحالة هذه ـ من طرق موضوع القصة، وهكذا تحدث عن ك. زهراب الكاتب الارمني وكتابه « الحياة كما تكون » الذي يحوي « طائفة من قصصه الهادئة الطبيعية الحقيقية الملونة بالوان الحب الزاهية » ، وقدم خلاصة لقصة « أظن » من قصصه ، وعرب ـ في باب قصة الحديث « الفاتحة » للروائي التركي الشهير ارجمند اكرم .

اما في العدد الثاني فنشر ـ فيما نشر ـ « نحو من الظلم » عن مخطوطة كتابه جلال خالد وفيه رسالة من (ك. س) الى جلال خالد ، ورسالة من جلال خالد الى (ك. س) فلقد كان يعد هذه القصة للطبع ، وقد حقق الهدف بصدورها في شباط من عام ١٩٢٨ (٢) « مهداة الى فتية خالد ـ بطل القصة ـ في كلكته فتى هندويا اسمه ف. سوامي وتناقش معه في كثير من الآراء : القومية ، الانسانية ، الاشتراكية ، الثورة ، الهجرة من الوطن ... وشهد معه منتدى سمع فيه محاضرة عن الادب التركي واخرى عن الادب الروسي والقصص الفرنسي ، فاتسع افقه وايقن ان لا بد من الاطلاع على هذا العالم .

في قصة جلال خالد كثير من محمود احمد ، فنحن نعلم انه سافر الى الهند في الفترة الزمنية التي يتحدث عنها ، ونعلم انه امضى في الديوانية مدة مديرا لتحريراتها ، كما نعلم كثيرا من افكاره التي نراها في هذه القصة . واذا ، فجلال خالد نوع من قصص الترجمة الذاتية Autobiographie ، وهذا صحيح ، ولكن لا يصح ان تقبل المعلومات الواردة فيها على انها مواد ترجمة لحياته (٣) ، لانه ـ كما هو طبيعي ـ يخرج بالحقيقة الواقعة الى النهج القصصي وهذا يتطلب زيادة ونقصانا واختلاقا . ثم اننا نعرف جيدا انصديقا حميما لمحمود احمد هو حسين الرحال قد زار الهند وحدثه عنها وناقش واياه افكارا تطورية تجديدية (٤) ، وقد وضع المؤلف في « جلال خالد » غير قليل من حسين الرحال ومن آرائه (٥) .

لم يقدم محمود احمد اثره على انه قصة مكتملة الفن ، وقد راينا ذلك في مقدمته لها ، وهكذا كان اول ناقد . لانه يعرف انها ليست قصة بالمعنى الدقيق وانما هي « اشبه شيء بالمذكرات او الحديث »(٦) وقد كان صادقا في ذلك حتى لو قصد الى الظهور بمظهر المتواضع .

انها ليست قصة بالمعنى الدقيق ، ولكن فيها اشياء من مقومات القصة الحديثة ، فيها ، ولعل اهم ما فيها : طريقة السرد القصصي منتبها الى وصف المحيط ، محاولا ان يغذيه بطراوة المواقف النفسية عاملا على ان تكون لغته حسنة .

ان جلال خالد ـ على اي حال ـ اول قصة عراقية حديثة اطول من قصيرة . اما انها « تصلح ـ كما يريد لها مؤلفها ـ لان تكون اساسا لقصة مطولة وافية (رومان) فلا . لان حادثتها اصغر من ان تتسع ، ولانها في صفحاتها المعدودة مفككة وجديرة بحذف كثير من الصفحات والسطور ولا تكاد تجد رابطا فنيا بين قسميها .

ومما يذكر من عوامل حالت دون نجاح « جلال خالد » نجاحا كبيرا ان نفس مؤلفها قصير ، وان حادثة الغرام مفتعلة لا تصلح لان تكون سلكا رابطا ، وان محمود احمد استعملها وسيلة مباشرة وسهلة لاذاعة افكار معينة كان يؤمن بها ويدعو اليها .

صدرت جلال خالد وقالت فيها الصحف كلمات اعجاب وتشجيع (٧) . منه ما جاء في مجلة « الحديث » (٨) : « ... القصة الوطنية في حوادثها ، الفلسفية في مغازيها ، الجديدة في ادبها ، واننا لنعدها فتحا جديدا في الادب العراقي ... » ـ ومن المنتظر جدا ان يكون المؤلف نفسه وراء هذه السطور . ولكن المقالة التي كتبت عن « جلال خالد » في اسهاب وموضوعية وبمعنى من « علم النقد الادبي » هي مقالة «انور شاؤل» (٩) : ان مؤلفها « اجاد... وان كانت الاجادة الى حد ما » ، « اننا لننتقد على الكاتب عدم عنايته بتنسيق روايته تنسيقا لا تستغني عنه القصة العصرية التي يراد بها درس الاشخاص والبيئات ... فالقصة كما يسميها المؤلف عراقية وانك لتجد ان القسم الاول منها حدثت وقائعه بعيدا عن العراق ... ومن الصعب على القارىء ان يتفهم شخصية جلال خالد بوضوح اذ ان البحث عنها مقتضب، يبعثرها هنا وهناك .

لقد اعجبنا من الكاتب عنايته باللغة ... غير انه لم يشأ الا ان يقلل من هذا الاعجاب بما استعمل من المفردات الشاذة ... » ...

ان مقالة « انور شاؤل » هذه مهمة في بابها ، وهي اولى المقالات الناضجة في تاريخ النقد القصصي في العراق ، وقد سجلت على « جلال خالد » ـ ايجابا وسلبا ـ ما اردنا تسجيله عليها اليوم. وهي

(*) راجع القسم الاول من الدراسة في العدد الماضي من « الآداب » .

(١) اما الركن الآخر فهو نور الدين داود .

(٢) بغداد ، مطبعة دار السلام .

(٣) ممن اعتمد قصة « جلال خالد » مصدرا لدراسة حياة مؤلفها الدكتور جميل سعيد في كتابه « نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق » وعبد القادر حسن امين في كتاب «القصص..».

(٤) حسين الرحال .

(٥) وربما يفهم من حديث مع حسين الرحال ان اكثرها منه وان جلال خالد هو حسين الرحال ـ تنظر « الثقافة » اذار ١٩٢٨ .

(٦) وكتب في مجلة الحديث ، مارس ١٩٢٨ : « هي مجهود اولي ضعيف ... » .

(٧) مجلة لغة العرب ، شباط ١٩٢٨ ، جريدة الزمان ٢٤ شباط ١٩٢٨ ، الثقافة اذار ١٩٢٨ .

(٨) الحديث ، مارت ١٩٢٨ .

(٩) جريدة العالم العربي ، العدد ١٢١٩ ، الجمعة ٢ اذار ١٩٢٨.

اذ تدل على ثقافة صاحبها يمكن أن تدل على ثقافة الفئة المستنيرة من الادباء الشباب (١٠) . وكنا نود ـ نود فقط ـ لو أن الناقد ، اذ بين نواقص « جلال خالد » ، أن ينتبه ـ او ينبه ـ الى امكان رد كثير من هذه العيوب الى ان مزاج المؤلف لا ينسجم وكتابة قصة طويلة ـ وان احب ان يكتبها واعتد بما قرأ وبما الم من قواعد .

ان مزاج محمود أحمد يتسق أتساقا حميدا في كتابة شيء قصير. ولم تشغله جلال خالد عن مواصلة الكتابة في هذا الضرب من الكتابة الادبية ـ مقالة او قصة ـ ومجلة الحديث ما تزال في متناول يده وطوع قلمه ، وكان من ذلك حديثه عن « رشاد نوري وقصصه » (١١) الذي ابان فيه عن اهتمامه بالفن القصصي اذ جدد فيه دعوته الى ضرورة العناية بالقصص الشرقي لاتفاقه واذواقنا وقربه من نفسياتنا وقال : « وكنت ارمي كثيرا في ان أنقل بقلمي عن اللغة التركية التي اعرفها بعض القصص الكبيرة ، فلم اوفق الى ذلك لاني مقسور على اضاعة وقتي الثمين وجهدي في سبيل الرزق ! بيد انني اختلست بعض الساعات من ايامي الماضية ، فعربت واوجزت اقصوصات مختلفة نشرت بعضها واخرت بعضها الى حين .

وكنت ولا ازال مولعا بقراءة كاتبين اثنين هما اشهر كتاب القصص التركية : رجائي زاده ارجمندر اكرم ، ورشاد نوري . وهما ، بعد ، اكثر قراء واوفر حظا من الاقبال . والاكثرية ألى جانب رشاد لانه نزاع في قصصه واقصوصاته الى الحرية معبودة الفريق الناهض من الشعوب الشرقية المكدودة في هذا العصر ... » .

ان عناية محمود أحمد بالقصة تتجدد وتزداد يوما بعد يوم لانه يرى في القصص الذي يقرأه جدا ودعامة في النهضة واليقظة مما يتصل اتصالا وثيقا بما هو عليه من آراء اجتماعية وافكار اصلاحية ، فهو اذ ينتصر للفلاح في خاطرة ويقول : « ... ان حرمان الفلاح من الارضين يسبب كل ... المشاكل الاقتصادية الحاضرة ... » (١٢) يكتب في خاطرة ثانية موضحا طبيعة القصص الذي يدعو اليه فيقول : « كنت قبل بضع سنوات اقرأ بعض القصص المعربة عن اللغات الاوروبية فاراها ملأى بالحوادث الرائعة الخطيرة ، ومثلها ما شاهدت من القصص المصورة على لوحات السينما ، ذات المناظر الخلابة والالوان الساطعة. كنت اقراها ، وكنت اراها فاحسب ان بلادنا الخلو من كل رائع خطير، غير جديرة بأن يستمد منها الكاتبون المواد لقصصهم . فلما أن قرأت هذه القصص الكبيرة الروسية الشعبية التحليليه : « الارض العذراء » لتورغنيف و « الجريمة والعقاب » لدستويفسكي و « ابن الطبيعة » لهاتزيباشيف وما اليها ، وهذه الاقصوصات الصغيرة التي اكثرت منها الصحف التركية والصحف المصرية وهي لاشهر الكتاب : انطون شيكوف ومكسيم غوركي وتولستوي ومن اليهم ، غيرت رأيي . فقد اتضح لي ان تلك القصص ذوات المفاجآت الرائعة الالوان الساطعة خيالية كاذبة زيفها كاتبوها وعرضوها على الناس في الاسواق والمكتبات لغاية واحدة هي اكتساب المال .

ولست أريد أن أحدثك في هذا المقال القصير عن هذه القصص أو تلك . انما أريد أن أدعو الكتاب الى البدء بكتابة القصص الشعبية وأن يحتذوا في كتابتها الروسيين هؤلاء أضف اليهم أميل زولا وفرانسوا كوبه من الكتاب الفرنسيين . وأنت تدري ان القصة هي العنصر الاهم من عناصر الادب العالمي ، في هذا العصر ، وان الاديب العربي ما زال محروما منها ، وان من واجب كل أديب أن يزاول كتابتها ، وانها يجب أن تكتب لغاية واحدة : « تصوير الحياة الشعبية » لتظهر للعيان الجوانب الكاملة منها والناقصة التي يسعى المصلحون الى اصلاحها ... » (١٣) .

الكلمة مهمة في تاريخ قصص محمود أحمد وهي وثيقة جليلة القدر في تاريخ القصة العراقية تبين الاسس الرئيسية لتطورها وتخطط لما ستكون عليه السمة الغالبة لها .

وقد تكونت هذه الافكار لدى محمود أحمد قبل تسطيرها على صفحات المجلة ، بل انه أشار خلالها الى قصة كتبها في هذا الضوء هي قصة « سكران » (١٤) ـ « صورة من أرذل حياة يحياها نوع من الناس ... » . والقصة مذهب فني متبع ، يكشف به المؤلف رذائل المجتمع ويقصد الى فضحها تمهيدا لاصلاحها » .

و « سكران » جيدة ، فنية في بدايتها ونهايتها وما بين ذلك من تواصل الاجزاء ويمكن أن تقرأ اليوم كأنها بقلم معاصر . وهكذا يكون محمود أحمد قد عاد الى كتابة القصة بعد دراسة وتأمل واطلاع ، وقرر بأن يدخل اليها أهم ما في الجديد وأن يجتنبها ما وقع فيه ـ ويقع كل مبتدىء ـ من الخطابة والاستطراد والتدخل والخيال الذي يصبح وهما والغرام الذي يجعل منها وسيلة عبث .

وهذا ما حدث فعلا على وجه بين ، وانك لتقرأ في العدد السابع من الحديث اعلانا له خطره في تاريخ محمود أحمد القصصي : اقرأ ، قصصنا الشعبية في العدد الآتي : انقلاب . أقصوصة عراقية كاملة مكتوبة على الطريقة التحليلية الروسية الواقعية ، صور فيها كاتبها صورة حقيقية من صور الحياة البيتية في بغداد . وهي صورة رائعة جديرة بالتأمل والدرس .

ويحل العدد الثامن ونقرأ قصة مكتملة فنيا ، في تسلسلها وحياتها واخفاء الحادثة عن ذهن القارىء وابعادها عن العنصر الشخصي لكاتبها (١٥) ، وفي الحوار الذي يجيء في الوقت والمكان المناسبين مراعيا شخص المتكلم واللهجة التي تقتضيها الحالة النفسية ـ ولو لزم ذلك أستعمال العامية ، أو ما يترجم عنها الى الفصيحة أو ما كان مشوها من العربية على لسان غير عربي من شخوص القصة .

أما اللغة السائدة في القصة فهي الفصيحة ، لغة متمرس بأساليب العربية قراءة وكتابة ، وهذا حسن ، الا انه اذا بولغ بالفصاحة خرجت القصة عن المألوف ، وهذا ما حدث ، ومن ذلك أن استعمل المؤلف كلمة أسكفة ، بل أن العنوان نفسه (انقلاب) من غير المألوف في لغة القصص وقد الزم المؤلف شرحا وتذييلا (١٦) .

كنا نود لو تنبه الكاتب الى ما يمكن ان تلحقه هذه اللغة من ضرر بالفن القصصي الواقعي ، والا فالقصة ـ في جملتها ـ ناجحة كأنها مما يكتب اليوم ، أو قل انها مما يمكن أن يقرأ اليوم دون التفكير كثيرا بالفارق الزمني .

ونشر محمود أحمد في العدد التاسع قصة « الامل المحطم » وهي ذكريات عرضت بأسلوب قصصي .

واذ توقفت « الحديث » عن الصدور تابع محمود النشر في المجلات والجرائد الاخرى ، ومن ذلك قصة بعنوان : «اوتسهرين» (١٧) ـ قصة امرأة تتظاهر بالعفة ، وقد جاءت القصة أقرب الى أن تكون مقالة أو أن تكون حديثا منقولا بأمانة « فوتوغرافيه » .

---

(١٠) كان انور شاؤل احد مصادرنا . وهو يعرف محمود احمد عن كثب ، ومن المبكرين في كتابة القصة ـ صدرت مجموعته الاولى باسم الحصاد الاول سنة ١٩٣٠ .

(١١) الحديث ، مارت ١٩٢٨ ص ١٧٢ ـ ١٧٦ . وتنظر جريدة الاستقلال ، تموز ١٩٢٧ .

(١٢) الحديث ، مايس ١٩٢٨ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

(١٣) الحديث ، العدد السابع ، مايس ١٩٢٨ ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧ ، وتنظر لمحمود أحمد ـ الطلائع ص ٦٨ .

(١٤) نشرت في « النشء الجديد » البصرية وأعاد نشرها في الطلائع ...

(١٥) العنصر الشخصي أساس في هذه القصة . ينظر اللويب ـ مختارات ص ٢٣ .

(١٦) تعني انقلاب كما شرحها : « الرجوع ... ومن الخطأ استعمالها بمعنى الثورة ... » .

(١٧) مجلة النشء الحديث ك ١ ـ ك ٢ ، ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ ، وقد بالغت المجلة في الثناء على القصة .

وهو اذ ينشر هذه القصص يعمل على ضمها الى قصص أخرى أعدها لتصدر مجموعة باسم « الطلائع » على انها تطبيق لدعوة « في سبيل الادب العراقي الشعبي الجديد » (١٨) .

وفي أوائل عام ١٩٢٩ (وربما في شباط منه) (١٩) صدرت « الطلائع » ، وهي : « صور وأحاديث ـ موجزة ـ عراقية وغيرها . مهداة الى فتية البلاد المستعدة للجهاد في سبيل الحق والحرية » فيها : الطالب الطريد ، الامل المحطم ، جلال خالد ، مجاهدون ؟! انقلاب ، جماح هوى ، سكران ! رسالة هجر ، أوتسهرين ؟ حادثتان (نكتة العمامة ، نقمة وحش) ثم قصص غير عراقية (٢٠) .

و « جلال خالد » الواردة هنا تلخيص للقصة الطويلة السابقة وقد أجهز التلخيص على ما في الاصل من سمات القصص . وفي « الطالب الطريد » تفكك وتقريرية . وتبين « مجاهدون » صورة مما كان يشغل بال المؤلف يوم كان في الديوانية ، وهي ليست قصة قصيرة بالمعنى الصحيح لان فيها أشياء كثيرة يمكن أن يكون كل منها قصة مستقلة . وفي « جماح هوى » تلميذ معجب بأستاذه الذي يعتنق المذهب الذي كان الدكتور شبلي شميل من أول الدعاة اليه في الشرق العربي . والقصة أقرب الى أن تكون الفصل الاول من قصة طويلة . وفي « رسالة هجر » حكاية الباحث عن الحب ، وهي جيدة لم يدع المؤلف فيها مجالا للغو أو تفصيلات خارجة عن التصميم .

وتبين « الحادثتان » سخافة التقاليد عندما تتحجر .

وفي القسم المخصص للطلائع غير العراقية تلخيص وتحليل لبعث تولستوي وتلخيص لقصص تركية من رشاد نوري وأرجمند أكرم وترجمة لقصة أرمنية .

وفي صدد حديثه عن مجموعة لرشاد نوري قال : « وفي المجموع قصص طريفة أخرى لا سبيل الى تلخيصها أو عرض جملة منها في هذا الكتيب الذي ضاق بمواده ـ ترجمنا جملة منها وسننشرها وغيرها مما ترجمناه عن الكتاب القصصيين في تركيا اليوم بكتاب اعتزمنا اصداره بعد هذا » (٢١) .

ان « الطلائع » حدث في تاريخ القصة العراقية . وقد أحسن المؤلف بذلك ـ في حينه ـ فأهداه على أوسع ما يكون عليه الاهداء من نطاق ، في العراق وخارجه ، الى الصحف والى الاشخاص ، وقد تلقى ـ على ذلك ـ رسائل اعجاب وتقدير من كتاب معدودين ، فكان مما قاله جلال نوري بك : « ان انتشار الاداب والافكار الحسنة المختارة في العراق يلبسنا حلل الفخر » ، ومما قاله بندلي جوزي : « ... ان الاشخاص والحياة التي تدور حولها قصصكم وتصورها هم لحم من لحمنا وعظم من عظامنا ... فثابروا على عملكم الذي شرعتم فيه لاني أرى فيكم كما يقول الاوروبيون « عرقا قصصيا ... » ، ومما قال محمود تيمور : « ... راقني فيه كثير من الصور الطبيعية كما هي . وأفضل قصة لكم أعجبت بها هي «انقلاب» ... » .

كان محمود أحمد حقيقا بأن يفخر بكتابه ابان انشائه وابان صدوره ، ولكنه كان ـ مع ذلك ـ عالما انه ليس غاية في الكتابة ، وانما هو مرحلة ، وليس ذلك قليلا منه ، ولا أدل عليه من أسطر وردت في رسالة كتبها في ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٢٩ : « ... ما هذه الفصول الا « طلائع » ومقدمات للادب القصصي العراقي الذي اعتزمت السعي الى تكوينه وأنا بين اليأس والامل ، لان دون هذه الامنية عقبات أهمها فقد الحرية الاجتماعية والحرية الفكرية وقلة القراء ... » (٢٢) .

ان محمود أحمد كان منصفا كثيرا اذ قدم الطلائع على انها « صور وأحاديث » ، فذلك أصدق في الوصف ، وهو يجعل القارىء أقل تشددا في الحساب القصصي .

***

أصابت محمود أحمد بعد الطلائع فترة كأنها حصلت قصدا بقرار اتخذه بهجر الكتابة (٢٣) بعامة والقصة بخاصة ، دون أن يلتزم بحرفية القرار فيما يتعلق بكتابة مقال هنا ونشر خاطرة هناك (٢٤) ، وكان أحفل ما نشره في هذه « الفترة » كلمة في مجلة الحديث الحلبية عن « القصة الصغيرة التي صار يطلق عليها كتابنا اسم الاقصوصة » « وخير مثال للاقصوصة تلك التي لشيكوف أنروسي ... » (٢٥) . وكان مما يلفت النظر فيما يتصل بثقافته القصصية كلمته عن «صافو » احدى قصص الكاتب الفرنسي الفونس دوده : « ... وقد عرف هذا القصاص ترسول ذي رأي اجتماعي دقيق ... » (٢٦) ، وفي كلمته التي عاد فيها الى قصة « البعث » من روائع تولستوي وقدم لها بقوله : « ... أصبح الادب القصصي اليوم منبعا خصبا لدرس نفسيات الشعوب وأمزجتها واشتهر أدباء الروس بقصصهم التي هي أدب للحقيقة أكثر منها للخيال ... صالحة لانماء النظريات ... ونشر المبادىء والاراء في سائر أنحاء المعمورة ... أما صاحب « البعث » فيعد شيخهم ونابغتهم الفذ ... » (٢٧) .

ان محمود أحمد يعالج في هذه الايام أمرا خطيرا ويريد لنفسه أن يكون داعية لادب خطير رابطا بين هذا الادب العالمي وما يعانيه العراق من تأخر اجتماعي وسياسي وما يمكن أن يكون للادب الواقعي من اثر محمود في تصوير الاوضاع والتنبيه الى الفساد وبيان الحلول المناسبة ، وهو اذ يقف ازاء عمالقة القصة الروسية والفرنسية في القرن التاسع عشر يقف موقفا يجمع الدراية الفنية والفائدة الفكرية والاعجاب بالاثار الخالدة وحث النفس في أن تستفيد وتقتدي وتأتي بما هو خير مما أتت ، وأن تكتب ـ اذ تكتب ـ أشياء عالية . ولعل موقفه كان مشوبا بالحيرة والقلق والخوف ، فلقد كانت أشياء تحول دون أن ينفذ قصده وأن يقول كل ما يريد أن يقول ، وقد يكون من هذه الاشياء الوظيفة الحكومية التي بلغها (سكرتير مجلس النواب) (٢٨) وصحته التي بدأت تسوء وتشغله بمراجعة الاطباء واجراء الفحوص (٢٩) .

هذه أمور معوقة ـ دون شك ـ ولكنه لا يمكن أن يستغني عن الادب ، ولا يمكن أن يرضي نفسه من دون أن يكتب قصصا يحقق فيها ما يمكن تحقيقه من تقدم ويخطو بفنه خطوة أوسع . وقد تكون « عاتكة » (٣٠) من طلائع هذا المشروع ، اما الجد في المشروع فقد بدا جليا عام ١٩٣٥ حتى لكأن القصص ولدت مكتملة ، ولعله أنهى كتابة مجموعة القصص في النصف الاول من هذا العام ، وانه كلما انتهى

---

(١٨) جريدة الاستقلال العدد ١٤٠٤ .

(١٩) لدينا نسخة من الطلائع مهداة بتوقيع المؤلف بتاريخ ٢٦ ـ ٢ ـ ١٩٢٩ ، وتنظر جريدة الاستقلال الصادرة في ١ شباط ١٩٢٩ (العدد ١٤٢١) .

(٢٠) مطبعة الاداب ـ بغداد .

(٢١) وأعلن على غلاف الطلائع أن سيظهر هذا الكتاب قريبا ، ولكنه لم يصدر . ولعله لم يؤلف على شكل كتاب . أما الدكتور داود سلوم فقد عده على ص ٢٨٠ من كتابه « تطور الفكرة والاسلوب ... » من آثاره ، اذ ذكر : « مجموعة قصص تركية » (ترجمة) ، وزاد على ذلك : اذ تغرب الشمس . بغداد ١٩٣٥ (ترجمة عن ارجمند أكرم) .

(٢٢) الذوبب ـ مختارات ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢٣) تنظر الحاصد ٢٨ تموز ١٩٣٢ .

(٢٤) تنظر مجلة الشباب ١٩٢٩ ، الحديث الحلبية ١٩٣٠ ، الحاصد ...

(٢٥) الحديث الحلبية ، السنة الرابعة ، شباط ١٩٣٠ ، العدد الثاني .

(٢٦) الاماني ، العدد الثاني (٢ ـ ٢ ـ ١٩٣٠) .

(٢٧) جريدة الاخبار (البلاد) ، العدد ١٥٩ .

(٢٨) الاضبارة ...

(٢٩) الاضبارة ...

(٣٠) ١٩٣٣ .

من كتابة قصة دفع بها الى أمهات من المجلات العربية : الرسالة ، الحديث ، مجلتي ... واذ بدأت المجلات بالنشر بدأ هو يحقق طبعها في كتاب . وقد تم له ذلك ، اذ أصدر « في ساع من الزمن » (٣١) وأهداه الى كل من يعنى بدراسة الادب الحديث في العراق ... » وقدم له بكلمة تدل على ايمانه بالادب وعلو منزلته : « لست أديبا ـ محترفا ـ ولكني أحب الادب ، لانه المعنى الذي يسمو على مادة الدنيا ، ولان فيه الفكرة الباقية على الدهر ، وحرية من الحرية ، وقوة من القوة ، وحقا من الحق الشامل العظيم ... » ، وتدل على اهتمامه بالفن القصصي واعلاء مكانه : « ولقد كان حبي للادب والفن يهيب بي ـ بين حين وآخر ـ ويدعوني الى كتابة صور تمثل حياتنا بأسلوب القصص : الفرع الباسق من « النثر الفني » الذي نرجو له نموا عندنا وازدهارا ، فكنت ألبي دعوته في بعض أوقات الفراغ ... » .

وقد وصف المجموعة بأنها « صور عراقية » ، وربما كان اصراره على استعمال هذه الكلمة بدل كلمة « قصص » نوعا من الوعي لفنه والعلم بما هو عليه وبما يعوزه لان يكون قصصا ، ولا شك في انه يتخلص بهذه الكلمة من كثير من النقد الذي يوجه اليه على أساس من « القصص » كما انه يشير الى علم بأنواع القصص ـ ومنها الصورة . والحقيقة أن أكثر ما كتب محمود أحمد يدخل في باب الصور ـ وان كان في ظن المؤلف انه القصص .

ثم بين مذهبه الفني قائلا : « وليس في هذه الصور المختارة ... ما هو واقع من أوله الى آخره بهذا التسلسل المنطقي والاطراد المعروضين في حوادثها ، وليس في هؤلاء الاشخاص الذين يظهرون فيها من عاش بالاسم الذي سميته به ، وفي المحل الذي أحللته فيه ، وحيي الحياة التي البسته ثيابها واستعارت له عناصرها واسبابها ، على ان الاجزاء التي تألفت منها كل صورة ـ منها ـ لم تقتبس الا من حياتنا الواقعة ، ولم تنقل الا عن الحوادث الجارية من حولنا ، في موطننا هذا « في ساع » وأيام قريبة أو بعيدة مضت « من زمننا » هذا ، دع عنك ما يحيط بها ويبرقعها من غلائل التصور وشفوف الخيال ... » .

وهو بهذه الاسطر يدلنا ـ من جديد ـ على علمه المبكر بالفن القصصي ، وعلى وعيه لما هو فيه وعليه . فلا تعني القصة الواقعية نقلا فوتوغرافيا ـ كما نقول اليوم ـ وهكذا أراد أن يقول ، وطبيعي أن يقول وهو الذي قرأ وتأمل وكتب . وقد لمسنا آثار هذا المفهوم في قصص سابقة له ـ وان كنا لحظنا ان مما يعيب اكثر تلك القصص (السابقة) سيطرة منطق وقوع الحادثة من أولها الى آخرها . أما اليوم ، ومنذ قصص « في ساع من الزمن » فانه مقبل على تطور جديد نحو المفهوم الذي نص عليه في هذه الفقرة الاخيرة من مقدمته. ان جملة قصص « في ساع من الزمن » تومىء الى مرحلة جديدة مهمة، وتدل على ان الكاتب أصبح أوسع و « أضخم » وأدرى بالمواقف النفسية ... ولو انه استطاع أن يتخلص من الرواسب وأن يقلل اعتزازه بكل ما كتب وقال لكان انطلاقه أبعد .

في « في ساع من الزمن » من القصص ما يعالج موضوعا سبق أن عالجه ، وتكاد تكون اعادة في كتابة ذلك الموضوع ، وهذه هي : أبو جاسم ، الدفتر الازرق ، نكتة العمامة ، الذكرى : « أبو جاسم » في قسمها الاول حديث « الطالب الطريد » ، ثم زاد عليها ما يمجد الطبقة المكدودة ممن اعتاد الناس احتقارهم . والدفتر الازرق قصة علي بن غالب بطل الامل المحطم ، وهي حديث يبين فساد النظام الاجتماعي القائم . ويقوم صلب الذكرى على « جماح هوى » وفيها طراوة .

و « رصاصة في الفضاء » قصة موظف عزل من عمله جاءت تقريرا يحتاج الى اعادة الكتابة اكثر من مرة . وكان « طالب افندي » في الاصل ملا طالب الشاعر المرتزق الذي جاء بغداد فوقع غنيمة باردة في الملاهي والمراقص .

ان خير قصص « في ساع من الزمن » وأدلها على التطور الذي أصابه الكاتب قصة « بداي الفايز » . والقصة كما تبدو ظاهرا ، قصة الثأر ، أما باطنا فهي أعمق من ذلك كثيرا ، وهي اذ جلت مكان الثأر من خلق القبيلة أكدت ما هو أقوى من الثأر ودعت الى ما هو أحب وأولى : التعاون والمروءة . واذا كان العربي يفخر بالقتل فان « بداي الفايز » فخر بما هو خير وأسمى : باعانة خصمه في الملمات على انقاذ أسرته من خطر الموت . والقصة اذ تحدثت عن « بداي » لم تنس أن تصور ما حول الاشخاص من طبيعة ومجتمع .

قد تقول ان هذا الفلاح شاذ ، ولا يكون قولك اعتراضا أو ذما للقصة لان المؤلف قال ذلك ومهد له بكل ما يجعله منسجما مع مجموع القصة . انه لا يريد أن ينقل الواقع كما وقع وكما رآه وسمع به ، انه يريد أن يطوره ويتخذه أداة في التطوير . ولم يبد على القصة الافتعال ، فقد كسا المؤلف العظام بما يلائمها من لحم لانه لم يكن بعيدا عن أجزاء أحداثها وان لم يكن متكلفا اذ ربط بين الحدث والرأي.

ان « بداي الفايز » حدث في تاريخ القصة العراقية ولا يمكن أن تخلو منها أية مجموعة لمختار قصص عراقية ولا يمكن أن يجهلها أو يتجاهلها من يريد أن يرسم خطا لاهم تيار سائد في القصص العراقي.

ومحمود احمد اذ يصدر « في ساع من الزمن » (٣٢) ويكتب على غلافها « الجزء الاول » كان يأمل أن يصدر الجزء الثاني وكان ـ وكنا ـ نأمل السير خطوة جديدة في التطور ولكن الامل خاب ، اذ انقطع المؤلف عن الكتابة وشغل بمرضه الذي ألح عليه واضطر معه الى أن يحصل على اجازة ويسافر الى مصر لاجراء عملية جراحية ، وقد شخص الكشف عليه هناك المرض بـ « تضخم عظيم بالكبد مع في الامام الشافعي (٣٣) .

(٣١) بغداد ، وكتب عليها : الجزء الاول .

(٣٢) تنظر مجلة « الحديث » الحلبية ، ١٩٣٦ ، العدد الرابع ،

في الاسواق

قصة الحرب القذرة ...

في فيتنام !

اقراها في رواية الروائي الاسترالي الشهير

موريست وست

السفير

كما يقصها سفير اميركي عين في سايغون ، فعاش مؤامرات المخابرات السرية الاميركية مع عدد من الجنرالات المتآمرين ، وخرج بمأساة شخصية تجسدت في صراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ...

ترجمها : نزيه الحكيم

منشورات دار الآداب

وجود أكياس هيدائد بها » ولقد أجريت العملية ونجحت في أول الامر ثم لم يلبث المريض أن فارق الحياة في صباح اليوم العاشر من شهر كانون الاول من عام ١٩٢٧ ودفن بالقاهرة بمدافن العمروسي في الامام الشافعي (٣٣) .

***

ان محمود أحمد السيد من أدباء العراق المعدودين ، تميز بنشاط نادر مع ايمان بالادب وبوفرة في النتاج مع تنوع في ضروبه . له في الصحافة وفي المقالة وفي النقد الادبي أثر ، وله في تاريخ الفكر وفي مجال التحرر والاصلاح شأن . ولكن أهميته الاولى تأتي في الجانب القصصي ، في تبكيره وفي تطوره نظريا وعمليا . فقد زاول الكتابة وظل يزاولها ويفيد من تجاربه ، وألم بآمات القصص العالمي (الروسي بخاصة) عن طريق اللغة التركية التي يجيدها والمطبوعات المصرية والشامية التي كانت تصل اليه ، وألم بقواعد هذا الفن وأصوله وانتهى فيه الى الصلة المباشرة بالحياة والى ما يمكن أن يؤدي ـ كما أدى في بعض بقاع الارض ـ من خدمة جليلة في تصوير المجتمع والتنبيه الى ما فيه من مساوىء وفضح تقاليده الجائرة وفي انصاف المظلومين والمكدودين وتحسين سبل العيش وضمان مستقبل أفضل .

وهو في هذا مبكر جدا في العراق ، ولا تجد له فيه نظيرا أو عددا من الادباء تضمهم اليه وتكون منهم طبقة اولى ، كأنه كان طبقة وحده ، وانك ان بحثت له عن أنداد ومعاصرين وجدتهم خارج العراق، في مصر من امثال محمد تيمور وعيسى عبيد وشحاته عبيد ومحمود طاهر حقي ... من القصاصين الذين أرادوا أن يصوروا الحياة المصرية ويعكسوا البيئة المصرية وأن يعتزوا بها ويسعوا الى رفع شأنها (٣٤) . ولا شك في انه اطلع على آثارهم وأعجب بالدعوة التي

(٣٣) تنظر الاضبارة . والذي معلومات عن هذه المرحلة في رسائل خاصة منها رسالة من زينب الحكيم وأخرى من أحمد توفيق الحكيم .

(٣٤) ينظر عباس خضر ـ القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠ ، القاهرة ، ١٩٦٦ . وقد أعادت الدار القومية بالقاهرة نشر آثارهن .

يذيعونها ، ولكنك اذا قابلته بهم لا تعدم أن تراه سابقا أو متفوقا في هذه النقطة او تلك ، في الشكل مرة وفي المضمون مرة ، كان عالمه أوسع من عالمهم ولغته أمتن واستمراره أطول ، وتقدمه آكد (٣٥) .

ان من قصصه ما يمكن أن تقرأ اليوم وتجد المعجب بها ، ومنها ما يستحق أن يبقى في مختار القصص العراقي من أي مجموع يصنع في هذا الشأن ، وفي مقدمة ذلك « انقلاب » و « بداي الفايز » .

لقد كانت « بداي الفايز » بدءا جديدا لمرحلة جديدة ، وكان المؤلف نفسه يعرف ذلك ويعد قلمه لان يكون أمتن وأعمق وأبرع ، ولم يداخله يأس في السعي الى ذلك رغم المرض المتمكن منه . وحسبك انه « حدثنا قبيل وفاته عن رغبته في التقاعد عن العمل ليتفرغ الى كتابة القصص الواقعية والتاريخية ويسير قدما في الطريق الذي اختاره » (٣٦) . واذا كانت المنية قد عاجلته وحالت دون تحقيق الاماني فان في آثاره الباقية من حياته وقلمه ما يحفظ له الذكر المجيد ويدل على سعي جاد ويشير الى موهبة أصيلة .

وقد وقع الاجماع على عد محمود أحمد رائدا للقصة الحديثة في العراق ، وقد نص على ذلك أو ألمح اليه معاصروه ودارسوه من عراقيين وغير عراقيين (٣٧) . ولم تكن ريادته سبقا زمنيا فقط ، وانما كانت في مفهوم فني صحيح وتقدم ملحوظ وفي تخطيط ظل بعده سمة بارزة للقصة العراقية (في واقعيتها وشعبيتها) ، ولو ان القصص العراقي بعده ، التزم نهجه لغة وأداة ومادة لكانت الاشواط التي قطعها أبعد وأعمق ... وأكثر انسجاما .

بغداد — **علي جواد الطاهر**

(٣٥) من المناسب الا ندخل محمود تيمور في هذه المقابلة .

(٣٦) من رسالة خاصة للدكتور محمد مظهر سعيد ـ وهو من شهد وفاته في القاهرة .

(٣٧) ينظر كراتشكوفسكي (الرسالة ١٩٣٦) ، جعفر الخليلي ، جميل سعيد ، سهيل ادريس (الاداب ـ السنة الاولى) ، عبد القادر البراك (أعلام من الشرق) ، محمود العبطة (محمود أحمد السيد) الخ .

الوجه الآخر لأميركا ... الفقر في الولايات المتحدة

بقلم ميكايل هارنغتون

ليس « الوجه الآخر لاميركا » رحلة عاطفية يقوم بها في احياء « ولفير ستيت » كاتب اميركي غاضب امام الخمسين مليونا من الفقراء المنسيين المنبوذين . بل ان « ميكايل هارنغتون » يعلن غضبه وثورته بصفته عالما اجتماعيا واقتصاديا . ان الفقر في الولايات المتحدة كتلة ، دولة ضمن الدولة ، نظام خلقه نظام. وليس فيه ما يشبه البؤس الاسيوي الذي يعتبر القضاء عليه هدفا قوميا لانه نصيب الاكثرية . ولكن هل يستطيع الاميركيون الذين ينعم ثلاثة ارباعهم باعلى مستوى للحياة في العالم ان يتحملوا وقتا طويلا مشهد هذا الفقر الذي لا مثيل له ، وهؤلاء الفقراء (الخمسين مليونا) الذين لم يعرف التاريخ اعجب منهم ؟

والمؤلف يبرهن ، كما يقول كاتب المقدمة كلود روا ، ان كون الانسان فقيرا لا يعني انه يملك مالا اقل من غيره ، بل ان القلة لديه في كل شيء ، في الذكاء ، في الصحة المعنوية والبدنية ، في الروح الاجتماعية . « ان الفقر لا يعني ان الانسان يملك اقل ، بل يعني أيضا انه يعيش اقل ! » .

يصدر في الشهر القادم